جُمْهُورِيَّةُ مِصْرَ الْعَرَبِيَّةُ

كُلِّيَّةُ دَارِ الْعُلُومِ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ

قِسْمُ الدِّرَاسَاتِ الْأَدَبِيَّةِ

أَثَرُ شِعْرِ الْبُحْتُرِيِّ فِي الْأَدَبِ الْأَنْدُلُسِيِّ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِيِّ

رِسَالَةٌ لِنَيْلِ دَرَجَةِ "الدُّكْتُورَاه" فِي الدِّرَاسَاتِ الْأَدَبِيَّةِ

قَدَّمَهَا الْبَاحِثُ:

حَاتِم أَوْس مُحَمَّد السَّنُوسِي الْأَنْصَارِي

الْمُشْرِفُ عَلَيْهَا:

أ.د/ أَيْمَن مُحَمَّد عَلِي مَيْدَان

أُسْتَاذُ الدِّرَاسَاتِ الْأَدَبِيَّةِ

وَوَكِيلُ الْكُلِّيَّةِ لِشُئُونِ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا وَالْبُحُوثِ

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

الْمُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمد إليك الله عَزَّ شأنه، وأصلي وأسلم على رسوله محمد وعلى آله البَهَالِيل، وعلى أَبَوَيْهِ إبراهيمَ وإسماعيلَ، أما بعد؛ فَمُذْ وَطِئَتْ قَدَمُ ابْنِ زِيادٍ ومَنْ مَعَهُ الجزيرةَ، وهي كَبَيْتٍ ضَمَّ مِصْرَاعَيْنِ يَعْتَلِجَانِ، عربيٌّ وعَجَمِيٌّ، عقلًا ولسانًا ودينًا وأدبًا، فَغَلَبَ الْأَوَّلُ حِقَبًا والآخَرُ أُخْرَى، حتى اصْطُلِمَ الإسلامُ من عُدْوَةِ الأندُلُس[1].

والحِقبةُ التي تُعْنَى بها هذه الدراسة في الْمِفْصَل، وهي القرن الخامس الهجري على التقريب؛ حيث تجلِّيَاتُ التصالحِ مع رياحِ الشمالِ في الموشَّحِ والأزجالِ، وهو الوقتُ عينُه الذي فيه أَنْشَأَتْ هَامَاتُ الأندُلُسِ تَشْرَئِبُّ لِمُطَاولةِ المشارِقَةِ وسيمائهم، فكان بحتريُّ الأندُلس، ومُتَنَبِّيهَا، وصَنَوْبَرِيُّها، إلى آخر تلكم الألقاب.

وهذِي الحقبةُ من أجمَعِ حِقَبِ الأندُلُس للشعراء والمترسِّلِينَ وأَجْوَدِها، فيها قَدَّمَتِ الأندُلسُ للدنيا شَوْبًا من الأدب العربي العالي، مع ما انمازَ به من بَصَمَات الشخصية الأندُلسية، إذ عاش ابنُ دَرَّاجٍ (ت٤٢١هـ) وابنُ شُهَيْدٍ (ت٤٢٦هـ) وابنُ حَزْمٍ (ت٤٥٦هـ) وابنُ زيدونٍ (ت٤٦٣هـ) وابنُ عمَّارٍ (٤٧٧هـ) وابنُ الحدَّادِ (ت٤٨٠هـ) وابنُ عَبَّادٍ (ت٤٨٨هـ) وابنُ اللَّبَّانةِ (ت٥٠٧هـ) وابنُ حَمِديسٍ (٥٢٧هـ) وابنُ خَفَاجَةَ (ت٥٣٣هـ) وغيرُهم من الشعراء والْمُتَرَسِّلِينَ.

---

١ قال ياقوت: "يقال بضم الدال وفتحها، وضم الدال ليس إلا" وما أخذه الباحث عن مشايخه المالكية المغاربة بالأزهر الشريف بالضم فقط. انظر: أَبُو عَبْدِ اللهِ شِهَابُ الدِّينِ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَمَوِيُّ الرُّومِيُّ الْبَغْدَادِيُّ: معجم البُلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧-١٩٧٧، ج١، ص٢٦٢.

والذي يَصْبُو إليه البحث أن يرصُدَ أثرَ شعرِ البحتريِّ (ت٢٨٤هـ) على أدب الأندُلسيين في هاته الحقبة.

أَقْسَامُ الرِّسَالَةِ

تنقسم الدراسة إلى: مقدمة، وقسم للدراسة الخارجية، وآخرَ للدراسة الداخلية، وخلاصةٍ، ومِسْرَدٍ للمصادر، وآخر للمراجع، والفهرس.

أما المقدمة فتشتمل على أسباب اختيار الدراسة، ونُبذةٍ عن الدراسات السابقة، حيث تأتي المناقشة الوافية للدراسات السابقة في القسم الأول من الدراسة، وتحديدٍ لمشكلة الدراسة وتساؤلاتها، ومادتها ومنهجها.

وأما القسم الأول فيتناول ظاهر التأثير من الخارج، ليستقرئ كتب الأندلسيين التي ذكرت البحتري في قليل أو كثير، ويحلل هذه النصوص، كما يرصد الذين أُطلق عليهم لقب البحتري، ويقف مع الباحثين ومعالجتهم للظاهرة.

وأما القسم الثاني فيضم تقدمَةً عن تأثير البحتري بين: تشكيل بنيةِ العملِ الأدبي في الأندلس، وتأويلِه، وتأثيرِه الكلي والجزئي فيهم، وَفَصْلَةً عن حضور البحتري في نثرهم، وأخرى عن معارضاتهم له، مع تحليلٍ نصيٍّ طويل لنونية ابن زيدون (أضحى التنائي...) ونونية البحتري (يكاد عاذلنا ...).

وتأتي الخلاصة لتوجز أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة، ومِن بعدِها مِسردَا المصادر والمراجع؛ لتبيين الطبعات التي اعتمد عليها الباحث، فالفهرس.

أَسْبَابُ اخْتِيَارِ الدِّرَاسَةِ

قد حثَّ الباحثَ على اختيار هذه الدراسةِ حواثُّ، أمثَلُها:

وجوبُ تصحيحِ التصوُّرِ النَّقدي بالتَّحَقُّقِ التَّحليليِّ من المُسَلَّماتِ والأحكام الانطباعية التي أَلْقَتْ ظلالها على الأدب، ومن ذلك حقيقةُ التشابه والاختلاف بين شعر البحتري وشعر ابن زيدون مثلا، الذي أُطلق عليه بحتري الأندُلس، مع الكشف عن مواطنِ تلك الْمَشَابِهِ وأنواعِها.

ومنها: أنها دراسة بَيْنِيَّة، والدراسات البينية غالبًا ما تَكْسِبُ البحثَ والباحثَ كليَّةً وتجريدًا، وتساعد على فهم فلسفةٍ أشملَ للظواهر الأدبية؛ فالبحث داخلَ الأدب العباسيِّ وَحْدَه أو الأندُلسيِّ وَحْدَه يفيد في رؤيةٍ أكثرَ جزئيةً عند مقارنته بالبحث بين الأدبين، مع الاحتراز عن التعميم غير الدقيق الذي يتناسب طردا مع اتساع مادة الدراسة، ومن أجل هذا ركَّزَتِ الدراسةُ على شاعرٍ عباسي واحدٍ في قرنٍ أندُلسيٍّ واحد؛ لضمان دقةِ النتائج، واحتواءِ النظريةِ التفسيرية لأكبرِ مَاصَدَقٍ من أفرادها.

ومنها: التشابه في الظرف التاريخي الذي كان في القرن الثالث الهجري العباسي –عصرِ البحتريِّ– مع الظرف التاريخي الذي في القرن الخامس الهجري الأندُلسيِّ، وذلك في تمزق القوة السياسية الجامعة من الخلافة العباسية في عصر أبي جعفر والرشيد إلى مجموعة قوى تسيطر على جوانبَ من الدولة، كما هو الحال بعد قوة الخليفة الناصرِ

والمسْتَنْصِرِ والملك المنصورِ إلى تمزّق الأندُلس ممالِكَ سياسيةً أصغر، وهذا التشابه بين الظرفين التاريخيين يدعو لمزيد من التساؤل لاكتشاف العوامل المؤثرة في شعر المرحلتين.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ

تعرضَتْ بعض الدراساتِ لتأثير الأدب المشرقيِّ في الأدب الأندلسيِّ، ولكن لم تتناول واحدة منها أثر شعر البحتريِّ وحدَهُ في أدب القرن الخامس الهجري بالأندلس، ولعل أهمَّ الدراسات التي حاولت تلمُّسَ انعكاسات الأدب المشارقة –وفيهم البحتري– في مرآة الأدب الأندلسي:

١- إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَاسِرٍ السَّهْلِيُّ: أَثَرُ شِعْرِ الْمُحْدَثِينَ الْعَبَّاسِيِّينَ فِي الشِّعْرِ الْأَنْدُلُسِيِّ، رسالة دكتوراه، بفرع الأدب، لكلية اللغة العربية، بجامعة أم القرى، بإشراف: إبراهيم أحمد الحاردلو، ١٤١٦-١٩٩٤.

ولم تُلِمَّ الدراسة بأثر البحتري خاصة سوى في مجموعِ بِضْعِ صفحات لا تتجاوز التسعة تقريبا، وكان تركيزها على أثر المحدثين بعامَّةٍ، وستأتي مناقشة ما جاء فيها في القسم الأول إن شاء الله تعالى.

٢- حنان إسماعيل أحمد عمايرة: الأثر المشرقي في شعر ابن خفاجة الأندلسي، بحث بمجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد الأول والثاني، ٢٠١١م.

وكان نصيب أثر البحتري أقلَّ من صفحتين، ولم تُعْنَ بالتحليل، وستأتي مناقشة ما جاء فيها في القسم الأول إن شاء الله تعالى.

٣- حسن كامل الصَّيْرَفِي: بحتري المغرب أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، قصيدة، بحث منشور في: مجلة الكُتَّاب، اتحاد المؤلفين والكُتَّاب العراقيين، العددان ١١-١٢، تشرين وكانون الأول ١٩٧٥م، ص٤٩٦-٥٠١.[٢]

وتكمن أهمية الدراسة في أن مؤلفها هو محقق ديوان البحتري، وهو بَعْدُ عالم كبير، وشاعر جيد؛ ولذا توقع الباحث أن يستفيد منها، لكنه لم يظفر بها بالرغم من البحث عنها أكثرَ من ثلاث سنوات.

٢ ذكرها عدنان محمد غزال: مصادر دراسة ابن زيدون، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٤، ط١، ص٨٤.

مُشْكِلَةُ الدِّرَاسَةِ وَتَسَاؤُلَاتُهَا

تحاول الدراسة عن طريق الرصد والتحليل الإجابةَ عن تساؤل رئيس، هو: ما كان أثرُ شعرِ البحتريِّ في الأدب الأندُلسيِّ شِعْرِهِ ونثرِهِ في القرن الخامس الهجري؟

ويَخْرُجُ من خلاله عددٌ من التساؤلات الفرعية، هي: كيف دخل شعر البحتري الأندلس؟ وماذا مثَّل البحتري في الخلفية الثقافية الأندلسة؟ وكيف استدعاه أدباء الأندلس ونقادُها؟ ومَن الذين أُطلق عليهم لقب بحتري المغرب؟ وكيف قرأ الأندُلسيون أهمَّ ملامحِ شعرِ البحتري؟ وما موقفُ الباحثين من ذلك؟ وما سمات التأثير البحتريةِ في الأندلس؟ وما المعارضات الأندُلسيةُ للبحتري؟ وماذا تحمِلُ من ملامح البحتري؟

مَادَّةُ الدِّرَاسَةِ

تتمثل مادة الدراسة في ديوان البحتري من جهة، والمصنفات الجامعة لأدب الأندلسيين في القرن الخامس الهجري من جهة أخرى، ومن هذه المصنفات قلائدُ العِقْيَان، ومَطْمَحُ الأنفس للفَتْح بن خَاقان، والذخيرةُ لابن بَسَّامٍ، أو ما زاد على ذلك في الدواوين المفردة لشعراء هذا العصر، أو مجاميعُ رسائلهم كما لابنِ حزم وتوابعِ ابن شهيدٍ وزوابعِه، وأحيانا تحتاج الدراسة إلى ما يأتي عَرَضًا من الأدب في كتب التاريخ كجَذْوَةِ الحُمَيْديِّ وبُغْيَةِ الضَّبِّيِّ وغيرهما، أو ما يَرِدُ في كتب الأدبِ الأندلسيِّ الشاملةِ كنَفْحِ الطِّيبِ للمَقَّريِّ، والإِحَاطَةِ لابن الخطيب، والحُلَّةِ السِّيَرَاء لابن الأبَّار، والمطرِبِ لابنِ دِحْيَة، والْمُغْرِبِ لابن سَعِيد، والْمُعْجِبِ للمَرَّاكُشِيِّ، أو غيرِه كزُهْرِ الآدابِ للحُصْرِيِّ، والعُمْدَةِ لابنِ رَشِيق.

مَنْهَجُ الدِّرَاسَةِ

تعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي مع المنهج التحليلي الفني الذي ينظر في الوشائج الواصلة بين شعر البحتري ومن حذا حذوه من أهل الأندلس، ويحاول تقديم تفسير علمي للعوامل المؤثرة في ذلك، واستخلاص للنتائجِ والأحكام المبنية على التحليل الفني للأدب المدروس.

وبعد، فإني أعوذ بالله من التَّمَحُّل والاعْتِسَاف، أو أن أَضْرِبَ على غيرِ هدًى، وذا جَهْدٌ في خِدْمَةِ الله، أسألُه بِهِ وبنبيِّه محمدٍ –صلى الله عليه وسلم– أن يقبَلَهُ ويقبلني معه، ويقبلَ مَن أشرَفَ عليْه، وناقَشَهُ، وقرَأَهُ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عند مليكٍ مُقْتَدِرٍ.

تَوْطِئَةٌ عَنْ حَيَاةِ الْبُحْتُرِيِّ[٣]

ولد أبو عبادةَ أبو الحسنِ الوليدُ بنُ عبيدِ الله بنِ يحيى البُحْتُرِيُّ الطائيُّ القحطانيُّ ببادية مَنْبِج ببلاد الشام بين الفرات وحلب، عام ٢٠٤هـ[٤]، مات أبوه في صغره؛ فنشأ رقيقَ الحال بين أهله الطائيين، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم وتأدب بآداب عصره من مبادئ علوم العربية والإسلام، وعَلِمَ أنه سيعيش شاعرا، فوَلَّى وجهَه شطر الشعر حيثما كان.

رحل إلى حلب أكثرَ من مرة، حيث التقى عَلوةَ بنتَ زُرَيْقَةَ، وأحبها، وألهمته أول زَخَّاتِهِ الشعرِيةِ الغزليَّةِ، لكنها — رُحْمَاكَ رَبِّي– تزوجَتْ غيرَه!

عاش البحتري يقتات من مدح الناس بشعره؛ فاتصل بادِئَ أمرِهِ بالأمير أبي سعيد محمدِ بنِ يوسفَ الثَّغْرِيِّ؛ فمدحه وجاهد معه الروم، والتقى عنده بأبي تمام؛

---

٣ هذا اختصار لتراجمه المتعددة، أغنت شهرة الشاعر عن نقلها، راجِعْهَا في كل من:

- أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ النَّدِيمُ المتوفى ٣٧٧هـ: الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٤٣٠-٢٠٠٩، المجلد ١، القسم ٢، ج٣، ص٥٢٩.
- يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَمَوِيُّ: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣، ط١، ج٦، ص٢٧٩٦-٢٨٠١.
- أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ الدِّمَشْقِيُّ المتوفى ٧٧٤هـ: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة ١٤١٩-١٩٩٨، ج١٤، ص٦٧٠.

٤ هذا التقدير وكذا تقدير الوفاة مختلف عليهما بين المؤرخين، وقد اتبع الباحث تقديرَ محقق الديوان، ص٣٥، من مقدمته.

ليتخذه إماما له في قرض الشعر، وظل وَفِيًّا له إلى آخر عمره، وقيل إنه لقي أبا تمام بحِمْص.

طَمَحَ البحتري إلى المجد والمال؛ فسلك طريقه إلى الوزراء والكتاب والخلفاء في دولة بني العباس، وساعده في أولها أبو تمام، والفتحُ بن خاقان، حتى صار شاعر الخلافة زمانا طويلا، لا سيما في عصر المتوكل، وقد أثرى من كل ذلك، وامتلك ضياعا في مَنْبِج، عاد إليها آخرَ عُمُرِه، ومات عام ٢٨٤هـ، عن قرابة ثمانين عاما.

كان معتزليا يقول بخلق القرآن أيامَ الواثق، ورجع عن ذلك في عهد المتوكل، ويبدو أن هذا الأمر لم يكن اعتقادا دينيا بقدر ما كان موقفا سياسيا يدفع به الأذى عن نفسه في عهودٍ تَسَلَّطَ فيها المعتزِلةُ على الناس، وأذَلُّوهم، حتى أظهر الله الحق، والأمر نفسه مع العلويين، فقد كان يجاملهم بعبارات في بعض شعره لِمَا تحت أيدهم، لا تشيعا سياسيًّا أو كلاميًّا[٥].

وأجله علماء عصره، ورَوَوْا عنه شعرَه، وعلى رأسهم أبو العباس المبرِّد، وأبو بكر الصولي، وغيرهم.

وقد تزوج البحتري، وأنجب فيمن نعلم أبا الغَوْث يحيى.

ما أجمع عليه النقاد —على مر الأيام والليالي– أن البحتري كان قمةً بين قُلَلِ[٦] الشعر الشاهقة، على عنفوان عصره، وامتلائه بالشعراء في كل رَجًا، لكنه استطاع الصمود والخلود.

---

٥ عبد الله بن سليمان العقل: البحتري وشعره في الوصف، رسالة ماجستير بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، القاهرة ١٣٩٤-١٩٧٤، ص٣٤-٣٥.

٦ قُلَلٌ: جَمْع قُلَّة، وهي أعلى الجبل، قال تأبط شَرًّا:

وَقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمْحِ بَارِزَةٍ ضَحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مِحْرَاقِ

وما اختلف النقاد فيه هو التفضيل بينه وبين أبي تمام، أو ابن الرومي، أو المعري، أو المتنبي، لكنه اختص من دون الجميع بأوصاف لم تصدق إلا عليه، من أهمها أنَّ شعرَه كان له ديباجةٌ حسنةٌ[٧].

انظر: الْمُفَضَّل بن محمد الضَّبِّيّ: المفضَّليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، ص٢٩.

٧ انظر: تاج العروس، مادة (د.ب.ج).

إِطْلَالَةٌ عَلَى الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ لِلْأَنْدُلُسِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِيِّ

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْـــيَاءِ مِيـــقَاتُ وَلِلْمُنَى فِي مَنَايَـاهُنَّ غَـــايَاتُ
وَالدَّهْرُ فِي صِبْغَةِ الْحِرْبَاءِ مُنْغَمِسٌ أَلْوَانُ حَالَاتِهِ فِيـهَا اسْتِحَالَاتُ[٨]

للهِ دَرُّكَ يا ابنَ اللَّبَانَةِ!

بدأ القرنُ الخامس بسقوط الخلافة الأُموية في قُرْطُبَةَ، مع استقلال كلِّ ذي سُلطة بمدينته في شتى أنحاء الأندلس؛ فاستقرَّ الصقالبة في بَلَنْسِيَةَ، وغَلَبَ عليها ابن عَمَّارٍ قليلا، وابنُ طاهرٍ في مُرْسِيَةَ لبعض الوقت، وبنو صُمَادِح في الْمَرِيَّة، وبنو عَبَّادٍ في

---

٨ مطلع قصيدة لأبي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الدَّانِيِّ المعروفِ بابْنِ اللَّبَانَةِ، وهي في رثاء المعتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ بعد أن دَالَتْ دَوْلَتُه، وحَبَسَهُ يوسفُ بْنُ تَاشَفِينَ في أَغْمَاتٍ، ووفد عليه ابن اللبانة هناك "وِفَادَةَ وَفَاءٍ لا وِفَادَةَ اجْتِدَاء" انظر كلًّا من:

- أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ الشَّنْتَرِينِيُّ المتوفى ٥٤٢هـ: الذَّخِيرَةُ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، تحقيق: إحسان عباس، بدار الثقافة، بيروت ١٤١٧-١٩٩٧، ط١، ج٣، ص٦٩٦، وقد أورد البيت الثاني فقط.
- أَبُو الْعَبَّاسِ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْمَقَّرِيُّ التِّلِمْسَانِيُّ المتوفى ١٩٤١هـ: نَفْحُ الطِّيبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدُلُسِ الرَّطِيبِ، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٨٨-١٩٦٨، ط١، ج٤، ص٢٥٦-٢٥٧.
- ديوانُ ابنِ اللَّبَّانَةِ الدَّاني- مجموع شعره: جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية، عمان الأردن ١٤٢٩-٢٠٠٨، ط٢، ص٣٦.
- الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧، ط٣، ص٢٤٣-٢٤٤، وقد أوردها في البيت الأول "من الأرض" بدلا من: "من الأشياء" والصواب الأخيرة؛ ليصح الوزن، ولعلو سند ابن بسام.

مَلْحَظٌ: في التوثيق من الذخيرة سنشير إلى الأقسام دون المجلدات؛ لتوالي ترتيب صفحات كل قِسْم.